الحلقة 23

عروس وقور ساقتها أقدارها إلى بيت النبوة

إعداد: هشام المنشاوي

سودة بنت زمعة.. المهاجرة الطيبة راعية أبناء النبي

ام الشهداء، ورحم الابطال، ومدرسة تخرج فيها رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فجاهدوا في الله حق جهاده، وضربوا فى البطولة اروع الامثال.

صحابية سيرتها تحكى عظمة الصحابيات وحب الله ورسوله صلى الله عليه وعليهن وسلم، ذلك الحب الذى ملا قلوبهن وهانكل شئ فيه. لها خصيصة لا توجد لغيرها وهي انها تزوجت بعد الحارث البكير بن ياليل الليثي فولدت له اربعة اياسا وعاقلا وخالدا وعامرا وكلهم شهدوا بدرا وكذلك اخوتهم لامهم بنو الحارث فانتظم من هذا انها امراة صحابية لها سبعة اولاد شهدواكلهم بدرا مع النبي صلى الله عليه واله وسلم.

وكاني بام الشهداء السبعة تتمنى من اعماق قلبها ان يكون لها من الولد الكثير والكثير، فيموتوا في سبيل الله حبا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبة فى ثواب الله العظيم، فهى امراة امنت بالله وزادها الله هدى واتاها تقواها، فجعلت الاخرة مبلغ همها ومنتهى بغيتها، فكان منها ما حكاه اصحاب السير عنها خلق فاضل، وكمال وافر، وسلوك نبيل، وعقل راجح وحكمة سامية وبطولة نادرة وايمان راسخة ويقين صادق، وعمل مبرور، وسعى مشكور.

- تـوفـي زوجـهـا بـعـد الـعـودة لمكة وتـركـهـا تـواجـه مـصـيـرهـا مـع الـكـفـار
- زارهـا طـيـفُ الـنـبـي فـي مـنـامـهـا مـرتـيـن مُـحـمـلًا بـبـشـارة الـسـمـاء
- شـهـدت غـزوة خـيـبـر مـع الـنـبـي وأطـعـمـهـا مـن الـغـنـائـم ثـمـانـيـن وَسْـقًـا تـمـرًا

رسم توضيحي للهجرة إلى الحبشة

عـروس وقـور، ساقتها أقدارها إلـى بيت النبوة، والعمر قد شارف على الانتهاء، وبقايا النضارة والصبا لم يبق منها غير أطلال، لكن رسـول الله صلى الله عليه وسلم، لا يريدها هنا زوجة بالمعنى المألوف بين البشر العاديين؛ إنـه يقيم دعائم الرحمة بتلك المهاجرة التي رحل عنها زوجها وخلف صبيانًا صغارًا، وقد فرت بدينها إلى الحبشة وعادت لمكة ينتظرها متربصون، كما أراد النبي إقـامـة استقرار بيته ورعاية بناته على يد هذه الأم الـرؤوم.. وصدقت المرأة التي جاءت لخطبة النبي إليها: أيُ خير ساقه الله تعالى إليك يا سودة؟

نسبُ السيدة سودة وصفاتها الشكلية

هي السيدة سَـوْدَةُ بنْت زَمْـعـة بن قَيْس العَامرية القرشية، وأمهَا الشموس بنت قَيس بن زَيد بن عَمرو، من بني النَّجّار.

أخـواهَـا : مـالَـك بـن زمـعـة، مـن السابقين الأولـين، هاجر إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ومعه امرأتُه عُميرة بنت السّعْديّ، ولم ينجبا، وبقي فيها حتى عاد إلى المدينة مع جعفر بن أبـي طالب سنة 6 هـ[الاستيعاب في معرفة الأصـحـاب: 1352 ومصادر سير الصحابة]

عبد بن زمعة: لم يُسلم بعد حينما تزوج النبي محمد أخته، فجعل يحثُو على رأسـه التراب ندمًا على زواج أخته، ولما أسلم قَال: «إنـي لسفيهٌ يـومَ أحثو على رأسـي الـتـرابَ أن تـزوجَ الـنـبـيُ صـلّـى الـلـهُ عليه وسـلّـم ششَ».[مجمع الزوائد للهيثمي: كتاب المناقب، وكانت سـودة سيدة جليلة ضخمة الجسم، طويلة، لطيفة المعشر، جوادة، تقية، تزوجها النبي وهي في سن كبيرة وتراوحت الأقوال بين الـخمسين و الستين..[تراجم السيرة ومنها سير اعلام النبلاء، الذهبي، 2/267]

إسلام سودة وهجرتها للحبشة

تـزوجـت السيدة سـودة ابـن عـم لها يقال له السَّكْرَان بن عَمْرو، أخـو سُهَيْل بن عَمْرو العَامري، وقد أسلمتْ سودة وزوجها، فَهَاجَرَا إلـى اَلحبشة، في الهجرة الثانية (83 رجلًا و19 امـرأة) فـرارًا بدينهم من بطش مشركي قريش، في السنة الخامسة لبعث النبي محمد، وبصحبتهما ولدهما "عبدالله"، وقد عملوا بنصيحة النبي: «اذهبوا إلى الحبشة فإن فيها ملكًا لا يُظلم عنده أحد»[فتح الـبـاري: باب هجرة الحبشة : 227]

كان هؤلاء المؤمنون ممن قدموا من الحبشة بعد فترة على قـوارب صغيرة تعبر البحر الأحمر وأخطاره، في رحلة طويلة من شواطيء الحبشة، ثم قطعوا مسافة طويلة مشيًا على الأقـدام في الصحراء الحـارقـة حتى وصلوا مكة، وقد صدقوا الأخبار التي أتتهم بإسلام قريش، وكانت محض خدعة، ومع ذلك مكثوا في ديارهم متحملين كل أذى في سبيل البقاء مع النبي صلى الله عليه وسلم[سيرة ابن هشام، بتصرف]

وقـد أنجبت سـودة مـن زوجـهـا السكران خمسة أبـنـاء، فكانت أسـرة مؤمنة صابرة، ولكنه تُوفي عنها بعد فترة قصيرة من العودة لمكة، وتركها تواجه مصيرها مع قوى الكفر الظالمة، وكـان أبوها وأخوها ما يـزالان على شركهما، ما ضاعف بؤسها.

رؤيا سودة بالزواج من النبي

زار طيفُ النبي صلى الله عليه وسلم السيدةَ سودة رضي الله عنها في منامها مرتين مُحملًا ببشارة السماء؛ وكان ذلك لنقاء سريرتها، وقد كانت سودة بنت زمعة تحكي لزوجها السّكْرَان بن عَمْرو ما رأته في منامها "كأنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أقبل يمشي حتى وطئ على عُنقها، فقال: "وأبيك لئن صَدَقَت رؤياك لأموتنّ وليتزَوّجنّك رسول الله"، فقالت: حجرًا وسترًا (تنفي عن نفسها احتمالية حـدوث ذلـك في الواقع من شدة غرابته)".

ثمّ رأت في المنام ليلةً أُخرى أنّ قَمَرًا انقضّ عليها من السماء وهي مُضطجعة، فأخبرت زوجها فقال: "وأبيك لئن صَدَقت رؤيـاك لم ألبث إلا يسيرًا حتى أمـوت وتـتـزوّجـين من بعدي". فاشتكى السكران من يومه ذلك فلم يلبث إلا قليلًا حتى مات. طبقات ابن سعد

أول زوجات الرسول بعد خديجة

لما توفيت السيدة خديجة، رضي الله عنها، ذهبت خولة بنت حكيم امرأة الصحابي عثمان بن مظعون، تسأل النبي وقـد بـدا همه: «ألا تزوج؟، قال: نعم، فما عندك، قالت: بكر وثيِّبٌ (أي امرأة بكرًا وأخرى ثيبًا لرعاية الأبناء البكر بنت أحب خلق الله إليكَ عائشةُ والثَّيِّبُ سَودةُ بنتُ زمعةَ وقد آمنت بك واتبعتك، قالَ : فاذهبي فاذكُريهما عليَّ(اخطبيهما)»

انطلقت السيدة خولة إلـى بيت سـودة، وأبوها شيخ كبير، فلما رأتـه حيته، وقالت: أنعم صباحًا، ورحّـب بها، وأخبرته برغبة النبي في خطبة ابنته، فرد قائلًا: "كفء كريم" مـاذا تقول صاحبتك؟ (يعني ابنته سـودة)، قالت: تحب ذلـك، قـال: قولي له فليأت، فجاء رسـول الـلـه فملكها [أي: تـزوجـهـا]. [فتح الباري، ابن حجر، ، إسناده حسن]

ويـلاحـظ أن الـعـرب فـي الجاهلية كانوا يُقرون بكفاءة النبي للصهر وشرف الانتساب له.

وقد جاء النبي صلّى الله عليه وسلّم لخطبة سـودة، فقالت: أمري إليك. قـال: «مُـري رجلًا من قومك يُـزوّجـك». فأمرت حاطب بن عمرو العامريّ، فزوّجها، وهو مهاجريّ بدريّ.

وفي الأثر أنّ سودة كانت امرأة مصبية (كان لها خمسة صبية أو ستّة من زوج لها مات) فقال لها رسـول الله صلّى الله عليه وسلّم : "ما يمنعك منّي قالت : والله يا نبيّ الله ما يمنعني منك أن لا تكون أحبّ البريّة إليّ ولكنّي أكرمك أن يضغو هـؤلاء الصّبية عند رأسك بكرة وعشيّة (أي تخشى أن يصيبه صغارها بالتعب أو الإزعاج) قال : فهل منعك منّي شيء غير ذلك قالت : لا والله قال لها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : « يرحمك الله، إنّ خير نساء ركبْنَ أعجازَ الإبل صالحُ نَساء قريش، أَحْناه على ولَدٍ في صِغَر، وأَرْعاه على بعلٍ بَذات يدٍ » [رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة

هذه الزيجة تعكس منطق النبوة الكريم، في إعلاء شأن امرأة رعت زوجها في شدته، و حدبت على أولادها بالرعاية بعد رحيل أبيهم، وهي من شيم المرأة العربية والمسلمة.

بَنَى النبي بسودة في مكة، وانفردت به نحوًا من ثـلاث سنين أو أكثر، حتّى بنى بعائشة، وبهذا تكون سـودة أوّل من تـزوّج بها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعد وفاة خديجة.

كان زواج السيدة سـودة رضي الله عنها على صداق وقـدره أربعمائة درهـم، تزوّجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في رمضان، سنة عشر (10) من البعثة، وهاجر بها إلى المدينة. [طَبقات ابن سعد

السيدة سودة في بيت النبوة

بعد هجرته إلى المدينة، بعث رسـول الله صلى الله عليه وسلم في طلب أهله، فقدمت ابنتاه فاطمة، وأم كلثوم، ومعهما سودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيـد، وكانت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد هاجر بها زوجها عثمان بن عفان قبل ذلك، وحبس أبـو الـعـاص بـن الـربـيـع، امـرأتـه زينب بنت رسول الله، كما قدمت عائشة بنت أبي بكر مع أخيها، فأنزلهم النبي جميعًا في بيت حارثة بن النعمان. [طبقات ابن سعد

وبعد فراغ النبي وأصحابه من بناء المسجد، بنى النبي صلى الله عليه بيوتًا إلـى جنبه باللّبِن وسقَّفها بجذوع النخل والجريد؛ لأهل بيتهَ، فلما فرغ من البناء، بنى بعائشة رضي الله عنها– في البيت الـذي بابه إلى المسجد. وجعل سودة بنت زمعة – رضي الله عنها– في البيت الآخر الذي يليه إلى الباب الذي يلي آل عثمان.

ولا تنقل كتب السيرة شيئًا من غيرة النساء قد أظهرتها السيدة سـودة أم المؤمنين، من ضرتها الجـديـدة الصبية الجميلة عائشة، رضي الله عنهما، فقد كانت ترضى تمامًا بما قسمه الله لها من خير كبير بالانتساب إلى بيت النبوة الشريف، ورعاية الأبناء، والوجود إلى جوار أشرف الخلق أجمعين.

على العكس، كانت سودة رضي الله عنها ذكية بما يكفي لكسب محبة السيدة عائشة، وكانت تفعل ذلك بنية صافية محتسبة وجه ربها ورضا رسوله عليها]. ابن حجر

الأكثر من ذلـك، أن تطوعت السيدة سودة رضي الله عنها بيومها للسيدة عائشة، الزوج الجديد للنبي، وتـأثرت عائشة طيلة حياتها بهذا الموقف، حتى قالت: «ما رأيتُ امرأةً أحبَّ إليَّ أن أكون في مَسلاخها (إلى جوارها) من سودةَ بنت زَمعةَ . ... فَكان رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وَسلَّمَ يقسمُ لعائشةَ يومَين : يَومَها ، ويوم لسودةَ» [بتصَرف، رواه مسلم

ومـن المواقف الطريفة ما يُـروى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان عند سودة في بيتها فـجـاءت عائشة تـزورهـا وأتـت معها بأكلة طبختها بيدها تسمى الخـريـزة، فأكل النبيَّ صلى الله عليه وسلم منها أمّا سودة فلم تشته، فهددتها عائشة مازحة: لتأكلين أو لأُلَطّخنّ وجـهـك، وطَـلَـت وجـه سـودة وهـي تضحك، فأمسكَ النبي بيد سودة وأدخلها في القصعة وهو يقول الطُخي وجهها .. ولما مر عمرُ فنادى يا عبدَ الله [يعَني النبي]، دعاهن النبي لأن تغسلا وجَوهن احتراما لصاحبه. [السلسلة الصحيحة، الألباني،

ما فضائل أم المؤمنين سودة بنت زمعة؟

– هي أول أزواج نبي الله صلى الله عليه وسلم بعد السيدة خديجة رضي الله عنها، وانـفـردت به نحو ثـلاث سنوات حتى تزوج عائشة رضي الله عنها.

–مُربية أبناء النبي من السيدة خديجة بعد وفاتها، رضي الله عنهما.

–تعد سـودة رضـي الله عنها من فواضل نساء عصرها كانت سيدة جليلة، نبيلة الخلق، عُرفت بالصلاح والتقوى، وامتازت بالصدقة.

–شـهـدت سـودة غـزوة خيبر مـع النبي وأطعمها النبي من الغنائم ثمانين وَسْقًا تمرًا وعشرين وَسْقًا شعيرًا، ويقال قمح.

–روت سـودة عن النبي بعض الأحاديث. وحدث عنها: ابن عباس، وغيره.

ارتباط سودة بنزول آيات الحجاب

كانت السيدة سودة رضي الله عنها إحدى أسـبـاب نـزول آيـة الـحـجـاب، أي الآيـة التي نزلت فـي أمـر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب من الـرجـال. ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِـنْ وَرَاءِ حِـجَـابٍ ذَلِـكُـمْ أَطْـهَـرُ لِـقُـلُـوبِـكُـمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾[الأحزاب: 53]

وتَـرَوي لنا السيدة عائشة أن سـودةُ بنتُ زمعةَ قد خرجت ليلًا، فرآها عمرُ فعرفها، رضي الله عنهما، فقال : «إنك والله يا سودةُ ما تخفَينَ علينا، فانظري كيف تَخرجيَن، فانكفأت راجعة، فرجعتْ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ (أي عائشة) فذكرتْ ذلـك لـهُ، وهـو فَـي حُجرتي يتعشَّى، وإنَّ في يده لعرقًا، فأُنزلَ عليه (أي الوحي)، فرفع عنهُ وَهو يقولُ : « قد أذنَ اللهُ لكنَّ أن تخرجْنَ لحوائجِكنَّ»[رواه البخاري: 5237]

–قالت السيدة عائشة في أمر تبرع سودة بيومها لها : «نقولُ في ذلكَ أنـزلَ اللَّهُ تعالى وفي أشباهها : ﴿وَإِن امْـرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾[النساء: 128] ولم تنس عائشة فضل سودة عليها في حياتها.

التخفيف في الحج بفضل سودة

موقع بمنطقة خيبر

مكة المكرمة

مكان قبرها